الدولة العاشرة
المنتقلة من ملوك العرب المسلمين
الى ملوك المغول

(هولاكو بن تولي خان [1]) ولما ملك هولاكو بغداد ورتّب بها الشحنة والولاة انفذ بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل اليه ابنه الملك الصالح اسمعيل ومعه جماعة من عسكره نجدةً له. فاظهر له هولاكو عبسة وقال: انتم بعدُ في شكّ من امرنا ومطلتم نفوسكم يوماً بعد يوم وقدّمتم رجلاً واخّرتم اخرى لتنظروا مَن الظافر بصاحبه فلو انتصر الخليفة وخُذلنا لكان مجيئكم اليه لا الينا . قل لابيك: لقد عجبنا منك تعجباً كيف ذهب عليك الصواب وعدل بك ذهنك عن سواء السبيل واتخذت اليقين ظناً وقد لاح لك الصبح فلم تستصبح. فلما عاد الصالح الى الموصل وبلّغ اباه ما حمل من الرسالة الزاجرة ايقن بدر الدين ان المنايا قد كشّرت له عن انيابها وذلّت نفسه وهلع هلعاً شديداً وكاد يخسف بدره ويكسف نوره . فانتبه من غفلته واخرج جميع ما في خزائنه من الاموال واللالئ والجواهر والمحرمات من الثياب وصادر ذوي الثروة من رعاياه واخذ حتى حليّ حظاياه والدرر من حلق اولاده وسار الى طاعة هولاكو بجبال همذان . فأحسن هولاكو قبوله واحترمه لكبر سنّه ورقّ له وجبر قلبه بالمواعيد

١ – ان هولاكو لم يكن مستقلاً بالملك بل كان تحت رئاسة اخية مونككا الخان الاعظم الذي بعثه مع قسم من الجيوش لفتح البلاد التي غربي الفرات . والدليل على ذلك انه لم يكن يضرب اسمه على السكك بل اسم الخان الكبير . وارغون خان هو اول من ابتدأ ان يضرب في السكك اسمه مع اسم الخان العظيم . (طالع الصفحة ٧٥ من الكتاب المعنون (Museum Cuficum Borgianum). والذي حمل ابا الفرج وغيره من مؤرخي العرب ان يذكروا هولاكو كأنه خان عظيم ورأس دولة المغول انما هو لانه اول من ملك على بلاد المسلمين بعد فتح بغداد وزوال الدولة العباسية .

الجميلة واستأمن اليه وداعبه وقدّمه الى ان اصعده اليه على التخت واذن له ان يضع بيده في اذنيه حلقتين كانتا معه فيهما درّتان يتيمتان [١] . واقام في خدمته اياماً ثم عاد الى الموصل مسروراً مبروراً بل مذعوراً مما شاهد من عظمة هولاكو وهيبته بدهائه .

وفيها توجه الاشرف بن الملك الغازي بن الملك العادل صاحب ميافارقين الى الملك الناصر صاحب حلب يطلب منه نجدة ليمنع المغول من الدخول الى الشام . فاستخف برأيه ولم يسمع مشورته بل سوّفه بكلام وسرّحه من عنده بالامان . ولما وصل الى ميافارقين مدينته طرد شحاني المغول منها وصلب رجلاً قسيساً كان قد وصل اليه من خدمة قاان باليراليغ والبوايز [٢] . وبينما هو كذلك ادركته عساكر المغول واحاطت بمدينته وفي رأس العسكر يشموت [٣] بن هولاكو . وفي يوم وليلـــة بنى المغول حول مدينته سوراً وحفروا خندقاً عميقاً ثم نصبوا عليها المنجنيقات وابتدأوا بالقتال وقاتلوا قتالاً شديداً من الجانبين . ولما رأى المغول ان المدينة لم يمكنهم اخذها بالقتال ابطلوا القتال وحاصروها ومنعوا الناس من الدخول اليها والخروج عنها .

وفي سنة سبع وخمسين وستمائة ارسل هولاكو ايلجية الى الملك الناصر صاحب حلب برسالة يقول فيها : يعلم الملك الناصر اننـــا نزلنا بغداد في سنة ستّ [٤] وخمسين وستمائة وفتحناها بسيف الله تعالى واحضرنا مالكها وسألناه مسئلتين فلم يجب لسؤالنا فلذلك استوجب منّا العذاب كما قال في قرآنكم ان الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم . وصان المـــال . فآل الدهر به الى ما آل . واستبدل النفوس النفيسة . بنقوش معدنية خسيسة . وكان ذلك ظاهر قوله تعالى : وجدوا ما عملوا حاضراً . لاننا قد بلغنا بقوة الله الارادة . ونحن بمعونة الله تعالى في الزيادة . ولا شك ان نحن جند الله في ارضه خلقنا وسلّطنا على من حلّ عليه غضبه . فليكن لكم في ما مضى معتبَر . وبما ذكرناه وقلناه مزدجر . فالحصون بين ايدينا لا تمنع . والعساكر للقائنا لا تضرّ ولا تنفع . ودعاؤكم علينا لا يستجاب ولا يسمع . فاتّعظوا بغيركم . وسلّموا الينا اموركم . قبل ان ينكشف الغطا . ويحلّ عليكم الخطا . فنحن لا نرحم من شكا . ولا نرقّ لمن

---

١ – يتيمتان ر ثمينتان .

٢ – ويروى : والبوايز .

٣ – يشموت س يعقوب . – ويروى : بشموت وهو تصحيف .

٤ – ست وخمسين (انظر السطر ٦ من الصفحة ١٤ من كتابنا هذا). – ويروى : خمس . وليس بصواب .

بكا. قد اخربنا البلاد . وافنينا العباد . وايتمنا الاولاد . وتركنا [١] في الارض الفساد . فعليكم بالهرب . وعلينا بالطلب . فما لكم من سيوفنا خلاص . ولا من سهامنا مناص . فخيولنا سوابق . وسهامنا خوارق . وسيوفنا صواعق [٢] . وعقولنا كالجبال . وعددنا كالرمال . فمن طلب منّا الامان سلم . . ومن طلب الحرب ندم . فان انتم اطعتم امرنا وقبلتم شرطنا كان لكم ما لنا وعليكم ما علينا . وان انتم خالفتم امرنا وفي غيكم تماديتم فلا تلومونا ولوموا انفسكم . فالله عليكم يا ظالمين فهيئوا للبلايا جلباباً . وللرزايا اتراباً . فقد اعذر من انذر . وانصف من حذّر . لانكم اكلتم الحرام وختم بالايمان. واظهرتم البدع واستحسنتم الفسق بالصبيان . فابشروا بالذلّ والهوان . فاليوم تجدون ما كنتم تعلمون . سيعلم الذين ظلموا ايّ منقلب ينقلبون . فقد ثبت عندكم اننا كفرة . وثبت عندنا انكم فجرة . وسلّطنا عليكم مَن بيده الامور مقدّرة . والاحكام مدبّرة . فعزيزكم عندنا ذليل . وغنيكم لدينا فقير . ونحن مالكون الارض شرقاً وغرباً . واصحاب الاموال نهباً وسلباً . واخذنا كل سفينة غصباً . فيزوا بعقولكم طرق الصواب قبل ان تضرم الكفرة نارها . وترمي بشرارها. فلا تبقي منكم باقية . وتبقى الارض منكم خالية . فقد ايقظناكم . حين راسلناكم . فسارعوا الينا بردّ الجواب بتّةً. قبل ان يأتيكم العذاب بغتةً. وانتم تعلمون . فطلبه ليحضر عنده . ولما شاور الامراء لم يمكّنوه من المشي الى هولاكو وبقي متحيراً خائفاً مذعوراً لم يدرِ ما يصنع . غير انه استجار [٣] الله وسيّر ولده الملك العزيز وصحبته الاموال الكثيرة والهدايا والتحف . وبقي هناك من اوائل الشتاء الى الربيع ثم عاد الى ابيه قائلاً: قد قال ملك الارض: نحن للملك الناصر طلبنا لا لولده فالآن ان كان قلبه صحيحاً معنا يجيء الينا والاّ فنحن نمشي اليه . فلما سمع الملك الناصر ذلك بقي متردداً في رأيه لان الامراء لم يمكّنوه من المشي اليه وهو فقد وقع عنده الخوف والجزع ولم يطمئن على القعود . ثم سيّر هولاكو في طلب سلطان الروم عزّالدين واخيه ركن الدين فأطاعاه ومشيا اليه واحسن قبولهما والتقاهما مرحّباً بهما فرحاناً وتقدّم اليهما بان عزّ الدين يتملّك على قيسارية الى تخوم ارمينية الكبرى وركن الدين يتملّك من اقسرا والى ساحل البحر حدود الافرنج . ثم انه بعد ذلك توجه الى الشام وتوجّهما في خدمته الى قريب الفرات وعادا الى بلادهما مسرورين مغبوطين .

---

١ – وتركنا ر واوقعنا .

٢ – ويروى: مراحق وهي تصحيف مواحق .

٣ – استجار الله ر استجار اليه .

وفي هذه السنة توفي السلطان الملك الرحيم بدر الدين ابو الفضائل لؤلؤ صاحب الموصل في عشرين يوماً مضت من شهر تموز وتولّى ولده الملك الصالح اسماعيل الموصل وولده علاء الدين سنجار وولده سيف الدين الجزيرة .

وفي سنة ثماني وخمسين وستمائة دخل هولاكو ايلخان الشام ومعه من العساكر اربعمائة الف ونزل بنفسه على حرّان وتسلمها بالامان وكذلك الرها ولم يدنُ لاحدٍ فيهما سوء . واما اهل سروج فانهم اهملوا امر المغول فقُتلوا عن اقصاهم . وتقدم هولاكو فنصب جسراً على الفرات قريباً من مدينة ملطية وآخر عند قلعة الروم وآخر عند قرقيسياء وعبرت العساكر جملتها وقتلوا عند منبج مقتلة عظيمة . ثم تفرّقت العساكر على القلاع والمدن . ونفر قليل من العسكر طلب حلب فخرج اليهم الملك المعظم ابن صلاح الدين الكبير فالتقاهم وانكسر قدّام المغول ودخل المدينة منهزماً . وطرفٌ منهم وصل الى المعرّة وخربوها . وتسلّموا حماة بالامان وحمص ايضاً . فلما بلغ ذلك الملك الناصر اخذ اولاده ونساءه وجميع ما يعزّ عليه وتوجه منهزماً الى بريّة الكرك والشوبك . وعندما وصلت المغول الى دمشق خرج اعيانها اليهم وسلموها لهم بالامان ولم يلحق بأحد منهم اذًى. واما هولاكو فانه بنفسه نزل على حلب وبنى عليها سيبا ونصب المنجنيقات واستضعف في سورها موضعاً عند باب العراق واكثر القتال والزحف عليه . وفي ايام قلائل ملكوها ودخلوها يوم الاحد الثالث والعشرين[1] من كانون الثاني من هذه السنة وقتل فيها اكثر من الذي قتل ببغداد . وبعد ذلك اخذوا القلعة في اسرع ما يكون وقتاً . ثم ان هولاكو رحل عنها وأحاط بقلعة الحارِم[2] واختار ان يسلموها اليه ويؤمّنهم على انفسهم فلم يطمئنوا الى قوله وانما طلبوا منه رجلاً مسلماً يحلف لهم ويكون صاحب شريعة يُطمأن اليه حيث يحلف لهم بالطلاق والمصحف ان لا يدنو لاحد منهم سوء وينزلوا ويسلّموا اليهم القلعة . فسألهم هولاكو: مَن تريدون ان يحلف لكم . قالوا : فخر الدين الوالي بقلعة حلب فانه رجل صادق مؤمن خيّر. فتقدّم هولاكو اليه فدخل اليهم وحلف لهم على جميع ما يُريدون . فحينئذٍ فتحوا الابواب ونزل الناس خلائق كثيرة وتسلّم المغول القلعة . ثم ان هولاكو تقدم بقتل فخر الدين الوالي اولاً ثم بقتل جميع من كان في القلعة من الصغار والكبار الرجال منهم والنساء حتى الطفل الصغير في المهد . ورحل هولاكو من هناك عائداً الى البلاد الشرقية . ورتّب في الشام اميراً

---

١ – الثالث والعشرين س الثالث .

٢ – ويروى : حازم وهو تصحيف . وحارم حصن وكورة جليلة تجاه انطاكية .

كبيراً يسمّى كتبوغا ومعه عشرة آلاف فارس من العسكر . ولما وصل الى تلّ باشر وصلت العساكر التي حاصرت ميّافارقين ومعهم الاشرف صاحبها وأنهوا انهم اخذوها وقتلوا كل من فيها ولم يتخلّف فيها الاّ انفار قليلة لانهم هلكوا جوعاً وماتوا . ولولا ذلك لم يتمكن المغول من اخذها . وقتل الاشرف صاحبها وبعد ذلك ندم هولاكو على قتله. ثم انه ولّى عليها رجلاً اميراً من امراء الاشرف يسمّى عبد الله . ولما وصل هولاكو قريب ماردين سيّر يطلب صاحب ماردين اليه . فأبى ولم ينزل اليه[1] . بل سيّر ولده مظفّر الدين لانه كان في خدمة هولاكو هو والملك الصالح ابن السلطان بدر الدين لما كان بالشام . قال له هولاكو : تصعد الى ابيك وتقول له ينزل الينا ولا يعصي وان عصى لم يصب خيراً . ولما صعد الى ابيه وخاطبه لم يقنع بانه لم يسمع مشورته بل قيّده وحبسه عنده . فعند ذلك احاطت المغول بماردين وابتدأوا بالقتال ولولا ان وقع فيها الوباء والموت ومات السلطان واكثر اهلها لما اخذوها لا في سنتين ولا في ثلثة . ولما مات السلطان نزل ابنه الملك المظفر وسلّم اليهم القلعة والخزائن والاموال . وتحقق عند ملك الارض هولاكو ما جرى عليه من ابيه فلاجل ذلك اكرمه واحسن اليه وملّكه موضع ابيه . وكتبوغا كبير عسكر المغول الذي نزل بالشام لم يزل يستفحص عن اخبار الملك الناصر المنهزم في البراري حتى عرف موضعه وسيّر عليه بعض العسكر فلزموه وسيّروه الى هولاكو . ولما مثل بين يديه فرح به ووعده بكل خير وجميل وانه يُعيده الى ملكه وهو يومئذٍ نازل بجبال الطاق . فبينما هم في ذلك وصل خبر ان قوتوز التركماني الذي تولّى مصر لما بلغه ان هولاكو رجع الى المشرق وكتبوغا بعشرة آلاف فارس في الشام استضعفه وجمع عسكراً كثيراً وخرج التقى به وكسره وقتله واستأسر اولاده وكان ذلك في السابع والعشرين من رمضان من سنة ثماني وخمسين وستمائة . فغضب هولاكو لذلك وتقدّم بقتل الملك الناصر وقتل اخيه الملك الظاهر وجميع من معهم . ولم يخلص منهم غير محيي الدين المغربيّ بسبب انه كان يقول انني رجل اعرف بعلم السماء والكواكب والتنجيم ولي كلام اقوله لملك الارض . قال محيي الدين المذكور لما اجتمعنا به في مدينة مراغة : انني لما قلت لهم هذا الكلام أخذوني وأحضروني بين يدي هولاكو فتقدّم ان يسلّموني الى خواجا نصير الدين . وحكى لنا صورة ما جرى للملك الناصر قال : كنت في خدمته يوم الاربعاء عشرين شوّال وهو يسألني عن مولده اذ وصل امير

---

١ – ولم ينزل اليه بل س انما عن هولاكو يقال انه سيّر . وهذه الرواية توافق معنى العبارة .

من المغول ومعه نحو خمسين فارساً . فخرج الملك الناصر من الخيمة والتقاه وعرض عليه النزول . فامتنع قائلاً : ان هولاكو سيّرني ويقول : هذا اليوم لنا فرحة وقد عملنا دعوة وحضر الامراء كلّهم فتحضر انت واخوك واولادك للامر الذي لك عندنا . فجمع الملك الناصر جماعته مقاربةً عشرين نفراً وركبوا وساروا صحبة ذلك الامير . وبعد ساعة وصل ايضاً عشرون فارساً آخر وقالوا : يحضر الجماعة كلهم ولا يبقى في الخيم غير الفراشين والمماليك الصغار والطباخين والغلمان . وباقي الجماعة الخيّالة والكتّاب يحضرون في الدعوة . (قال) فاخذونا الى مواضع اودية عميقة بين حجارة عالية ونزلنا عن الخيل فاحتاط كل واحد منهم بواحد منّا وكتفونا . فلما عاينت ذلك بقيت اقول بصوت عالٍ : انني رجل منجّم واعرف بحركات الكواكب ومعي كلام اقوله في خدمة السلطان ملك الارض . فأخذوني وأقعدوني وراءهم مع جملة اتباعهم وشرعوا بقتل الجماعة ولم يخلص منهم غير ولدَي الملك الناصر فاستأسروهما . ثم ركبوا وعادوا الى البيوت التي للملك الناصر ونهبوها وقتلوا باقي الجماعة التي تخلّفت هناك . ثم عرضوا الامر على هولاكو وانا صرت في خدمة خواجا نصير الدين في الرصد بمراغة وابنا الملك الناصر في خدمته .

(جلوس قوبلاي قاان على كرسي المملكة) : فمن[1] هذا التاريخ بعض ملوك الخطا تمرّد وعصى على المغول لكونه قويَّ البأس متمكناً في امره كثير العساكر يحكم على اربعمائة مدينة . واوجب ذلك ان مونككا قاان بنفسه تهيّر للتقى هذا المتمرّد فترك اخاه الصغير وهو اريغبوكا مكانه واستصحب اخاه قوبلاي ودخل الى بلاد الصين . واول الملتقى اتفق ان اصابه نشابة ومات . فأخذ اخوه قوبلاي العساكر وخرج من بلاد الخطا . ثم وصل الى خان باليق وأقام هناك . واتفق عظماؤُه والاكثرون من المغول ان يكون هو موضع اخيه قاان . واما الاخ الصغير وهو اريغبوكا فقال : ان عند توجُّه قاان الى الخطا سلّم اليه الملك فهو الأولى ان يكون موضع اخيه بمقتضى الياسا الذي لهم . وحصلت المنازعة والمقاومة بين الاخين لاجل ذلك مدّة سبع عشرة سنة الى ان عجز الاخ الصغير وبطل عزمهُ وقوي امر قوبلاي قاان وظهر منه العدل الحسن والدراية والتدبير والكفاية . وانه كان يحبّ الحكماء والعلماء والمتديّنين من سائر المذاهب والامم . وقيل عنه انه كان قليل المباشرة للنساء بل باعتدال ومتوسط التدبير بالشهوات والشراب واللذّات واللهو ولم يتناول من اللحوم الاّ الطفها بخلاف باقي الطوائف من المغول .

واما قوتوز التركماني صاحب مصر بعد ما كسر كتبوغا وتمكّن من الشام أقام

---

١ – فن ر في .

الشحاني والنوّاب في حلب ودمشق وسائر بلاد الشام وعاد الى ديار مصر بحيث ان هناك يجمع العساكر ويشتدّ ويقوى على ملتقى المغول . ولما وصل قريباً من غزّة نهض عليه بيبرز[1] المعروف بالبندقدار الصغير وهو مملوك البندقدار الكبير وقتله وأخذ جماعة ودخل الى مصر وتسلمها وتمكّن وقوي ولقّبوه ركن الدين الملك الظاهر واشتدّ بأسه وتسلّط على جميع المدن والقلاع التي على ساحل البحر للافرنج . وفي سنة تسع وخمسين وستمائة عاد دخل المغول الى الشام وفي رأس العسكر امير يسمّى كوكالكي ودخلوا الى قريب حمص ونهبوا وسبوا وقتلوا خلقاً كثيراً وعادوا الى حلب وكان قد انهزم جميع اهل القرايا الى حلب فتقدّم كوكالكي ان يخرج اهل القرايا والمدن الى ظاهر البلد وينعزل اهل كل مدينة وقرية بمعزل بحيث يعدّونهم ويسيّرون كل قوم الى مكانهم ووطنهم . وتسلّمهم المغول كانهم يسيّرونهم الى ضياعهم وعندما يبعدون يقولون: انتم لو كانت قلوبكم معنا صافية لما انهزمتم من قدّامنا . فقتلوهم عن اقصاهم ولم يفلت منهم غير اهل حلب بحيث انهم لم ينتقلوا عن حلب . وعاد المغول خرجوا من الشام ثم عاد المصريّون تملكوا الشام .

وفيها هرب علاء الدين بن بدر الدين لؤلؤ صاحب سنجار الى مصر . ولما اقام هناك مدّة يسيرة كتب الى اخيه الملك الصالح اسماعيل صاحب الموصل يعرّفه قوّة البندقدار وعظمته واشار عليه بترك الموصل وقصده خدمة البندقدار بحيث انه اذا استولى البندقدار على قهر المغول واخذ البلاد منهم يكون له اليد البيضاء عنده ويملكه مع الموصل بلاداً اخرى من المشرق . ولما وصل الكتاب الى الملك الصالح ووقف عليه وضعه تحت طراحته وكان عنده في ذلك الوقت من الامراء شمس الدين محمد بن يونس الباعشيقي من جملة امراء ابيه النوّاب ببلد نينوى . فغافله وأخذ الكتاب من تحت الطرّاحة وخرج من عنده ولم يلبث حتى وصل الى قريته باعشيقا . بعد ذلك مدّ يده ليأخذ الكتاب فلم يجده فوقع عنده ان شمس الدين بن يونس قد اخذ الكتاب وصار عنده القلق العظيم لاجل ذلك وسيّر القصّاد في الحال في طلبه وقد عزم على قتله . وعندما وصل المماليك اليه اشغلهم بالاكل والشرب وقال لهم: ان هذه الليلة كلوا واشربوا وعند الصباح نركب الى خدمة السلطان . وأوصى غلمانه فأكثروا عليهم الشراب واسكروهم وناموا . فأخذ شمس الدين بن يونس اولاده وما يعزّ عليه وركب من اول الليل وتوجه يقصد اربل وكان له مشورة مع الرؤساء النصارى بناحية برطلي فعبر عليهم وعرّفهم

١ – بيبرز و بايبرز و بيبرس س صحنا .

ان الملك الصالح قد عزم على قتل جميع اكابر النصارى ببلد نينوى وانه بعد ذلك يتوجه الى الشام . وكان قد حصل لهم الشعور بذلك من قبل فصدقوه وتهيَّروا هم وما يعزّ عليهم من اولادهم . وشاع الخبر في جميع النصارى ببلد نينوى فكل من امكنه العبور الى اربل سارع بالعبور فعبر اكثر اهل البلد من النصارى وكان ذلك ليلة يوم الخميس. اما المماليك الذين كانوا قد وصلوا الى شمس الدين بن يونس فلما اصبحوا وصحوا من سكرهم فلم يجدوه فظنّوا انه قد سبقهم بالدخول الى الموصل الى الملك الصالح. ولما دخلوا وعرَّفوا الملك الصالح بما جرى وقع في الجزع والخوف وقال: لا نأمن ان ابن يونس يمشي يعرّف بالقضية المغول ويجيب علينا العساكر ويجيْ . فتهيَّر هو وجماعة من الامراء والاولاد وأخذوا ما يقدرون عليه مما يمكنهم حمله وخرج من المدينة يوم الجمعة ثاني يوم عبور ابن يونس والنصارى الى اربل صلّى الجمعة وخرج متوجهاً الى الشام وبطلت عزيمته انه يخرج هو والعسكر الى بلد نينوى ويُلزم اكابر النصارى ويأخذ اموالهم ويقتلهم ثم يمشي الى الشام . ثم انه لما خرج من الموصل وقع الخلف بين امرائه فمنهم من تبعه ومنهم من عاد الى الموصل . والذين عادوا الى الموصل كان كبيرهم الامير علم الدين سنجر . فلما وصلوا الى الموصل وكانت زوجة الملك الصالح تركان الخوارزميَّة في المدينة لم تتوجه معه ولا تبعته وكان في الموصل شحنة اسمه ياسان فاتفقوا هم واتباعهم وغلّقوا ابواب الموصل في وجوههم ولم يمكنوهم من الدخول . فنزلوا خارج المدينة وشرعوا يقاتلون اياماً يسيرة . فعند ذلك كان في المدينة رجل اسمه محيي الدين بن زبلاق من كتّاب الانشاء الذين كانوا للسلطان بدر الدين فاتفق هو وجماعة من اهل المدينة وخامروا على تركان خاتون وعلى الشحاني وفتحوا الابواب . ولما دخل علم الدين وجماعته هرب الشحنة ياسان وتركان واتباعهم وتحصنوا في قلعة الموصل . وثار اهل الموصل على النصارى من الاعوام ونهبوهم وقتلوا كل من وقع بايديهم وسلم من دخل في دين الاسلام. واما اكراد الجبال فكان قد قرَّر معهم الملك الصالح ان يتهيَّروا ويجمعوا جموعهم وينزلوا الى نينوى . ويوم السبت ثاني الجمعة التي خرج الملك الصالح من المدينة نزلوا الى بلد نينوى ونهبوا النصارى المتخلّفين وسبوا وقتلوا . وبينما هم كذلك وذلك في ايام يسيرة من ايار تلك السنة وقع الخبر ان عسكر المغول قد اقبل من صوب الجزيرة فخرج الامير علم الدين سنجر وجماعته من الموصل واجتمع اليه امراء الاكراد . فلما صادف العسكر قاتلوهم وقاتلوه . وكان في رأس العسكر تورين[1] شحنة الموصل فأحاطوا بعلم الدين سنجر

١ – تورين س نورين بدقم .

وجميع من معه وقتلوهم عن اقصاهم ولم يفلت منهم الاّ الطويل العمر . بعد ذلك بقي امر بلد الموصل والموصل مدّة مديدة في حيرة . وعند اواخر الصيف تواترت الاخبار بوصول عساكر المغول . وقريب من كانون الاول وصل العسكر وأحاط بالموصل وفي رأس العسكر امير كبير اسمه سمدغو [١] محبّ للنصارى. وبينما هم قد نزلوا على الموصل وصل الخبر برجوع الملك الصالح من الشام . ولما سمع المغول ذلك تأخروا عن المدينة الى حين ما دخل اليها ثم عاد المغول احاطوا بها وبنوا السيبا حولها في ليلة واحدة وابتدأوا بالقتال من داخل ومن خارج وكان ذلك من كانون الاول الى الربيع وقلّ القوت على أهل المدينة . وسيّر الامير سمدغو يخدع الملك الصالح ويعده بالمواعيد الحسنة وبطل القتال وقعدوا قعوداً . وكان في وسط هذه المدّة المذكورة وصل عسكر من الشام ومقدّمهم امير اسمه برلوا نجدة للملك الصالح الذي وعد به . فسارع المغول والتقوه عند سنجار واحاطوا بهم وقتلوهم جميعهم وكسبوا ما معهم من الخيل والسلاح وغير ذلك . بعد ذاك لما صار الامير سمدغو يخاطب الملك الصالح ويطايبه انخدع وفتح ابواب المدينة وخرج اليهم بالمطربين والاغاني والمساخرة بين يديه . وحينما مثل بين يدي سمدغو احتاط المغول به ودخل العسكر الموصل وسبوا ونهبوا وقتلوا مدّة ثمانية ايام وقُتل فيها عالم لا يُحصي عددهم الاّ الله تعالى . وبعد ذلك قرّر الامير سمدغو في الموصل حاكماً الامير شمس الدين بن يونس ورحل عنها . وكان قد قتل ولد الملك الصالح علاءُ الملك [٢] صبي حدث اسقوه خمراً كثيراً ثم شدّوه وقطعوه وترين في المدينة عند القلعة وصحبوا الملك الصالح الى هولاكو وقُتل هناك .

وفي سنة احدى وستين وستمائة شخصٌ اسمه زكي الاربلي منادٍ في سوق البهائم قد كان من اجناد الموصل سعى في الامير شمس الدين بن يونس وقال انه قد جمع الاموال والجواهر من خزائن بيت بدر الدين . وذكر عنه انه سقاه سماً ليموت وانه استعان بحكيم نصراني اسمه الموفق النصيبي حتى داواه . ولما سألوا لابن يونس ذلك انكره فضربوه اشدّ ضرب ليقرّ . وبينما هم في ذلك وقع من ثيابه ورقة فيها آية من القرآن . فالساعي فيه وهو الزكي الاربلي قال انها سحر لاجل المغول . فرسم بقتله. وتولّى الموصل الزكي الاربلي موضعه . وفي سنة اربع وستين وستمائة توفي هولاكو وكان حكيماً حليماً

---

١ – سمدغو ر صمدغو س صمجر

٢ – علاء الملك ر علاء الدين س علاء الملك .

ذا فهم ومعرفة يحبّ الحكماء والعلماء. وبعده بقليل اندرجت طقز خاتون زوجته وكانت ايضاً عظيمة في رأيها وخبرتها .

(اباقا ايلخان) بعد ذلك اجتمعت الاولاد والامراء والخواتين واتفقوا على ان اباقا ابن هولاكو يقعد على كرسي المملكة لان عنده العقل والكفاية والعلم والدراية . ولما جلس وتمكن كان سعيداً منصوراً في جميع حركاته وسكناته محبوباً من جميع الخلق . وكان قد سيَّر هولاكو طلبَ ابنة ملك القسطنطينية خطبها لنفسه . فلما اخذها الرسل وخرجوا بها ووصلوا الى القيساريَّة بلغهم الخبر بموت هولاكو ولم تتمكن من الرجوع الى بلادها فوصلت اليه ودخل عليها. وفيها وصل اليرليغ من اباقا الى بغداد ان علاءَ الدين صاحب الديوان يكون حاكماً مطلقاً لا يكون فوق يده يد . وكان شحنة بغداد قرابوغا ونائبه اسحق الارمنيّ يرومان اذيَّته فانكفأا عنه وصارا يتحيَّلان له بأذًى فحصَّلا شخصاً اعرابياً وعلَّماه ان يقول عنه انه سيِّر جاء به من البادية بحيث يكون له دليلاً عند ما يريد ان يأخذ ماله واولاده وما يتعلَّق به ويمشي الى الشام . وأوثقا مع البدويّ هذا الكلام . حينئذ سيَّرا احتاطا بدار صاحب الديوان والبدويّ يحملانه الى الاردو . وعند ما ضُرب البدويّ وقُرِّر اقرَّ ان اسحق الارمني علَّمه ذلك فقُتل البدويّ واسحق .

وفيها سيَّر البندقدار صاحب مصر الى حاتم ملك الارمن بحيث يدخل في طاعته ويحمل الجزية ويمكّن الناس من مشترى الخيل والبغال والحنطة والشعير والحديد من بلده وهم ايضاً يخرجون الى الشام ويتاجرون ويبيعون ويشترون . وملك الارمن خوفاً من المغول لم يجب الى ذلك . فلم يتأخر البندقدار عن انفاذ العسكر والركب الى بلد الارمن. وحاتم الذي هو ملك الارمن لما تحقق ذلك خرج الى بلد الروم يطلب النجدة من امير المغول هناك يسمَّى نفجي . فقال له: نحن بلا امر السلطان اباقا لا يمكن ان نفعل ذلك . وهجم المصريون على بلد الارمن . ولما لم يكن ملكهم حاضراً اجتمعت اخوته واولاده وامراؤه وجمعوا اتباعهم[1] وخرجوا ليمنعوا المصريّين من الدخول الى البلد . ولما التقوهم عند موضع يقال له حجر سروند انكسرت الارمن واستؤسر ولد الملك حاتم وقُتل ولده توروس وانهزم الامراء والعسكر . ونهبوا واخربوا بيعة سيس الكبيرة وكان الخراب العظيم في سيس واياس وأقاموا هناك مدَّة عشرين يوماً ينهبون ويحرقون ويسبون . وبعد خروجهم من البلد وصل الملك حاتم وقد صحب معه عسكراً من المغول والروم فما وجدوا احداً بل البلد خراباً واشتغلوا بالاكل والشرب ومدّوا ايديهم وجمعوا جميع ما كان

١ – ويروى: وامرأته وجمعوا العساكر اتباعهم .

قد تخلّف من المصريّين تمموه هم والملك مشتغل بالهمّ والغمّ على ما جرى على ولديه واصحابه وبلده . وكانت المضرّة منهم اشدّ واصعب . واما حاتم ملك الارمن فانه شرع يخاطب البندقدار في خلاص ولده ويعده بالاموال والمدن والقلاع الى غير ذلك . فجاوبه : ان نحن ما لنا رغبة في الاموال والمدن وغيرها . وانما لنا شخص صديق أسير عند المغول يسمّى سنقر الاشقر تخلّصه وتسيّره وتأخذ ولدك . ففعل ذلك وخلّص ولده . وذلك انه في سنة ثماني وستين وستمائة قصد الملك حاتم خدمة ملك الارض اباقا وبكى لديه وطلب منه سنقر الاشقر ليخلّص به ولده . فرحمه ورقّ لبكائه وقال له : تمشي الى بلدك تستريح ونحن نطلب هذا سنقر من ايّ مكان هو فيه ونسيّره اليك . فعاد حاتم من خدمة اباقا . وكان امير من امرائه سبقه الى بلده في مهمٍّ له فاجتاز به بروانة فاستشار به انه يريد يخطب لنفسه ابنة الملك حاتم . فاجابه بان الملك حاتم واصل عقيبنا اليكم فانتم التقوه واحسنوا اليه وهو يجيبكم الى ذلك . ولما وصل الملك حاتم الى بروانة وقد جمع بروانة اكابره والتقاه احسن ملتقىً واكرمه وقدّم له تقدمات نفيسة الى ان خجل الملك حاتم بحيث لم يعلم ما الذي اوجب هذا الاسراف في خدمته . فلما اظهر بروانة ما في قلبه اجابه بالسمع والطاعة واظهر له الفرح والبشاشة والغبطة وقرّر معه انه لا يمكن التعريس قبل خلاص اخي البنت فاذا خُلّص نفعل ذلك ان شاء الله تعالى . وفي سنة تسع وستين وستمائة وصل سنقر الاشقر من بلاد سمرقند الى الملك حاتم وهو سيّره الى البندقدار مكرّماً وأوهبه واعطاه . ثم ان البندقدار سيّر له ولده ايضاً بحرمة عظيمة وخيّالة كثيرة . وفي هذه السنة حاصر البندقدار مدينة انطاكية واخذها وقتل فيها وسبى واحرق كنائسها المشهورة في العالم . وفيها توجه الملك حاتم الى اباقا وشكر ودعا له على خلاص ولده من الاسر واستقال من السلطنة وطلب ان يكون ولده موضعه وانه شيخ عاجز . فقال له : انه اذا حضر عندنا نحن نملّكه . فتوجّه الى بلده وسيّر ولده الى عبودية اباقا .

وفي سنة سبعين وستمائة في شهر نيسان تزلزلت الارض في بلاد الارمن وخربت قلاع كثيرة ومات فيها مائة الف نفر من الناس غير الدوابّ . وفي سنة خمس وسبعين وستمائة نزل اباقا الى بغداد ليشتّي بها وصار غلاء عظيم ومجاعة وعزّت الاسعار .

* * *

وفي هذا التاريخ توفي خواجا نصير الدين الطوسي الفيلسوف صاحب الرصد بمدينة مراغة حكيم عظيم الشأن في جميع فنون الحكمة . واجتمع اليه في الرصد جماعة

من الفضلاء المهندسين . وكان تحت حكمه جميع الاوقاف في جميع البلاد التي تحت حكم المغول . وله تصانيف كثيرة منطقيّات وطبيعيّات والاهيّات واوقليدس ومجسطى. وله كتاب أخلاق فارسيّ في غاية ما يكون من الحسن جمع فيه جميع نصوص افلاطون وارسطو في الحكمة العمليّة . وكان يقوّي آراء المتقدّمين ويحلّ شكوك المتأخرين والمؤاخذات التي قد اوردوا في مصنفاتهم . وكان من الفضلاء في زمانه نجم الدين القزوينيّ[١] منطقيّ عظيم صاحب كتاب العين . ومؤيّد الدين العرضيّ وفخر الدين المراغيّ وقطب الدين الشيرازيّ ومحيي الدين المغربيّ . ومن الاطباء المشهورين فخر الدين الاخلاطيّ وتقيّ الدين الحشائشيّ . واشتهر هذا في عمل الترياق شهرة عظيمة وان لم يكن من الاطباء المشتغلين المشهورين وبسفاهته استظهر على باقي الاطباء في هذا الزمان . ومنهم نفيس الدين بن طُلَيب[٢] الدمشقيّ وولده صفيّ الدين النصرانيّ الملكيّ .

وفي هذا التاريخ وهو سنة خمس وسبعين وستمائة وهي سنة سبع وثمانين وخمسمائة والف للاسكندر عزم بندقدار ان يدخل بنفسه الى بلد الروم لان كان عنده اقوام قد هربوا من بلد الروم الذين هربوا الى الشام قد قوّوا عزمه على ذلك . ولما احسّ الملك لاون ابن ملك الارمن سيّر الى امراء المغول الذين في بلد الروم وعرّفهم ذلك وحذّرهم . واما بروانة فانه بوجهين كان يكذّب ملك الارمن في هذا قولهُ الاول انه كان يختار ورود البندقدار اذ له معه وعد . والثاني لانه كان يبغض ملك الارمن وكان يختار ان يزيّف قوله . ولما ان الامراء المغول اهملوا الامر اذ هاجمهم المصريون وهم سكارى فلم يلحق احدهم ان يركب فرسه . وان الياسا الذي لهم انهم لا يهربون قبل ان يلتقوا العدوّ. ولما التقوا وقعت الكسرة فيهم وقتل جميع اكابر المغول احدهم طوغو والآخر توذان بهادر. وكان مع المغول ثلثة الف كرج فوقفوا وبذلوا المجهود فقتل منهم الفان وتخلف الف واحد . وقُتل ايضاً من عسكر المصريّين خلق كثير . ولما حقّق بروانة كسرة المغول هرب وتحصّن في بعض القلاع .واما البندقدار فانه نزل عند القيسارية في موضع سمّي كيقوباد وبقي هناك خمسة عشر يوماً ودخل الى القيسارية مرّة واحدة ولم يدنُ منه لاحد من الرعايا شرٌّ ولا كلّفهم شيئاً اصلاً وانما جميع ما يحتاجون اليه كانوا يشترونه مشترًى. وكان يقول: اني ما جئت الى ههنا لأخرب البلد لكن لافكّ صاحبه من الاسر . واما اباقا ايلخان فحين وصلت اليه الاخبار بذلك غضب غضباً شديداً وجمع العساكر

١ – القزويني ر النقجواني .
٢ – طليب ر الطبيب .

وقصد بنفسه الروم . ولما عرف البندقدار انه لا يمكنه مقاومته رحل عن بلد الروم وتوجه الى الشام . ولما وصل اباقا الى بلد الروم لم يجد احداً من المصريّين وفي الحال نزل البروانة اليه ولم يُرِهِ اباقا شيئاً من الغضب وانما احسن اليه واكرمه واخذه صحبته الى الطاق لما عاد حيث يستشيره كم يقدّر ان يكون في الروم عسكر يقاوم المصريّين . وعمل دعوة عظيمة وسقاه من لبن الخيل شيئاً كثيراً لانه ما كان يشرب خمراً . وفيما هو قد خرج البروانة ليريق ماءه اشار اباقا الى اناس من حوله ليقتلوه فقتلوه وقطعوه قطعاً قطعاً وكان ذلك في ثاني يوم من شهر آب لتلك السنة . واما البندقدار فلما قرب من حمص ادركه اجله ومات يقولون اصابه في الحرب مع المغول نشابة في وركه ولم يمكن اخراج النصل منه وبقي اياماً كثيرة ولما اذن للجرائحي ان يخرجه وجاهد في اخراجه مع خروج النصل فارق الدنيا . وآخرون قالوا ان اناساً من جماعته سقوه في لبن الخيل سمّاً ولما احسّ عاد سقى لمن اسقاه منه فماتا اثناهما .

وفي سنة تسع وسبعين وستمائة لما قام الالفي ليتملك على الديار المصرية والشام لم يوافق في ذلك سنقر الاشقر . ولما تمكن الالفي وقوي جانبه هرب منه سنقر الاشقر ووصل الى الرحبة واتفق هو وامير بدويّ اسمه عيسى بن مهنا وسيّرا رسولاً الى اباقا ايلخان يستدعيانه ليركب الى الشام ويسلّما اليه البلاد الشامية والديار المصرية . ولما وصلت عساكر المغول الى الشام خاف سنقر الاشقر منهم على نفسه ولم يلتق بهم بل هرب وتحصن في قلعة صهيون . فوصل المغول الى حلب واي موضع صادفوه خرّبوه . وكان وصولهم الى الشام في وقت الشتاء من سنة ثمانين وستمائة وكان مقدّمهم قونغرتاي اخو اباقا الصغير وعاد المغول الى البلاد . وفي سنة احدى وثمانين وستمائة دخل المغول الى الشام في خمسين الفاً وفي رأسهم مونكاتمور الاخ الاصغر لاباقا واخذوا معهم ملك الارمن بعساكره . واجتمع عسكر الشام وفي رأسهم الالفي وسنقر الاشقر فانهما اصطلحا في ذلك الوقت على محاربة المغول . والتقى العسكران بين حماة وحمص في يوم الخميس سلخ تشرين الاول لتلك السنة وقوي جانب المغول على جانب الشاميّين . ولما قاربوا لينتصروا عليهم نصرة ويهزموهم اذ خرج على المغول كمين العرب من بني تغلب من ميسرتهم فتوهّم المغول ان عساكر كثيرة قد احاطت بهم من قدّامهم ومن خلفهم ولم يلحق الهربَ[1] اصحاب الميسرة مع اهل القلب . واصحابُ الميمنة وفيهم ملك الارمن

١ – يريد انهم انهزموا ولكن لم يفوزوا بالنجاة في هزيمتهم ويؤكد هذا المعنى قول ابي الفداء ونصه : « وانزل الله نصرته على القلب والميمنة فهزموا من كان قبالتهم من التتر وركبوا قفاهم يقتلونهم »

مع خمسة آلاف كرج لم يشعروا بالكمين وانما كسروا المصريّين الذين في مقابلتهم وساقوا خلفهم الى باب مدينة حمص وقتلوا فيهم خلقاً كثيراً ولم يزالوا الى ان وصل اليهم الخبر بهرب اصحابهم . فعند ذلك رجعوا وفي الرجعة صادفوا جماعة من عسكر المصريّين الذين ساقوا خلف اصحابهم الهاربين وعاد بينهم القتال وقُتل من الجانبين خلق كثير . ورجعوا وقد حملوا شيئاً كثيراً من الاموال والخيل والسلاح الذي نهبوا . ولما وصل مونكاتمور الى الجزيرة وهو قد خرج يومئذ من الحمّام عملوا سرّاً مع بعض الشرابداريّة وسقوه سمّاً. ولما احسّ بتغيُّر مزاجه توجّه نحو نصيبين وقضى نحبه . واما اهل الجزيرة فانهم لما شعروا بذلك ادركهم الخوف العظيم ولزموا للصفيّ القرقوبيّ وكتفوه وداروا به في اسواق الجزيرة ثم قتلوه .

واما اباقا ايلخان فانه توجه نحو بغداد ومنها الى همذان . وفي يوم عيد النصارى الكبير لتلك السنة دخل الى البيعة في تلك المدينة وعيّد مع النصارى . ويوم الاثنين ثاني العيد عمل له شخص فارسي اسمه بهنام دعوة عظيمة في داره . وليلة الثلثاء تغيّر مزاجه وصار يرى خيالات في الهواء . ويوم الاربعاء وهو اوّل يوم من نيسان لتلك السنة وهو العشرون في ذي القعدة انتقل من هذا العالم . ومونكاتمور انتقل يوم الاحد سادس عشر المحرّم في بلد الجزيرة .

(السلطان احمد) ولما توفي اباقا ايلخان اجتمع الاولاد والامراء وحصل الاتفاق بينهم ان احمد بن هولاكو من قوتاي خاتون يصلح للتدبير والمملكة وانه مستحقّ لهذا الملك وهو اولى به والطريق له بعد اباقا . ولما جلس على كرسي المملكة يوم الاحد الحادي والعشرين من حزيران لتلك السنة سنة احدى وثمانين وستمائة وعنده الكفاية والدراية والكرم أخرج من الخزائن والاموال شيئاً كثيراً وقسم على الاولاد والامراء والعساكر واظهر الاحسان والشفقة الى جميع المغول والى الامم الباقية وخصوصاً الى اكابر النصارى . وارسل الرسل الى سلطان مصر بسبب الصلح وكتب اليه رسالة هذه نسختها: بقوة الله تعالى باقبال قاان فرمان احمد. اما بعدُ فان الله تعالى بسابق عنايته وبنور هدايته قد كان ارشدنا في عنفوان الصبا وريعان الحداثة الى الاقرار بربوبيّته والاعتراف بوحدانيّته . والشهادة لمحمد عليه افضل الصلاة والسلام بصدق نبوّته . وحسن الاعتقاد في اوليائه الصالحين من عباده في بريّته . فمن يُرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام. فلم نزل نميل الى اعلاء كلمة الدين . واصلاح امور الاسلام والمسلمين. الى ان افضى بعد ابينا الجيّد واخينا الكبير نوبة الملك الينا فأفاض علينا من جلابيب ألطافه ولطائفه.

ما تحقق به آمالنا في جزيل آلائه وعوارفه . وجلا هذه المملكة علينا . واهدى عقيلتها الينا . فاجتمع عندنا في قوريلتاي المبارك وهو المجمع الذي ينقدح فيه آراء جميع الاخوان والاخوة والاولاد والامراء الكبار ومقدّمي العساكر وزعماء البلاد واتفقت كلمتهم على ان ينفذ ما سبق به حكم اخينا الكبير في انفاذ الجمّ الغفير من عساكرنا التي ضاقت الارض برحبها من كثرتهم وامتلأت القلوب رعباً لعظم صولتهم وشديد بطشهم الى تلك الجهة بهمّة تخضع لها شمّ الاطواد . وعزيمة تلين لها الصمّ الصلاد . ففكرنا فيما مُخِضت زبدة عزائمهم عنه واجتمعت اهواؤُهم وآراؤهم عليه فوجدناه مخالفاً لما كان في ضميرنا من انشاء الخير العامّ .الذي يقوم بقوّته شعار الاسلام . وان لا يصدر عن اوامرنا ما امكننا الاّ ما يوجب حقن الدماء . وتسكين الدهماء . ويجري به في الاقطار رخاء نسائم الامن والامان . ويستريح المسلمون في سائر الامصار في مهاد الشفقة والاحسان . تعظيماً لامر الله وشفقةً على خلق الله . فألهمنا الله اطفاء تلك النائرة . وتسكين الفتن الثائرة . وإعلام مَن اشار بذلك الرأي ما ارشدنا الله اليه من تقديم ما يُرجى به شفاء العالم من الادواء . وتأخير ما يجب ان يكون آخر الدواء . واننا لا نحبّ المسارعة الى هزّ النصال للنضال الاّ بعد ايضاح المحجة . ولا نأذن لها الاّ بعد تبيين الحقّ وتركيب الحجّة . وقوّى عزمنا على ما رأيناه من دواعي الصلاح . وتنفيذ ما ظهر لنا به وجه الاصلاح . اذكار شيخ الاسلام قدوة العارفين كمال الدين عبد الرحمن فهو نِعم العون في امور الدين . فأصدرناه رحمة من الله لمن دعاه. ونقمة على من اعرض عنه وعصاه . وأنفذنا اقضى القضاة قطب الدين والاتابك بهاء الدين وهما من ثقات هذه الدولة القاهرة ليعرّفاهم طريقتنا . ويتحقق عندهم ما ينطوي عليه لعموم المسلمين جميل سنّتنا . وبيّنّا لهم اننا من الله على بصيرة وان الاسلام يحبّ ما قبله . وانه تعالى القى في قلبنا ان نتبع الحقّ واهله. ويشاهدون عظيم نِعَم الله على الكافة بما دعانا اليه من تقديم اسباب الاحسان. ولا يُحرَمونها بالنظر الى سالف الاحوال . وكل يوم هو في شان . فان تطلّعت نفوسهم الى دليل يستحكم به دواعي الاعتماد . وحجّة يثقون بها من بلوغ المراد . فليُنظر الى ما قد ظهر من مآثرنا مما اشتهر خبره وعمّ اثره[1] . فانّا ابتدأنا بتوفيق الله تعالى باعلاء أعلام الدين واظهاره في ايراد كل امر واصداره تقديماً . واقامة نواميس الشرع المحمديّ على قانون العدل الاحمديّ اجلالاً وتعظيماً . وادخلنا السرور على قلوب الجمهور وعفونا عن كل من اخترع سيّئة واقترف . وقابلناه بالصفح

١ – ويروى: خيره واثره .

وقلنا عفا الله عمّا سلف . وتقدمنا باصلاح امور اوقاف المسلمين من المساجد والمشاهد والمدارس . وعمارة بقاع البرّ والرُبُط اللوارس . وايصال حاصلها بموجب عوائدها القديمة الى مستحقها بشروطِ واقفها . ومنعنا ان يُلتمس شيءٌ مما استُحدث عليها وان لا يغيّر احد شيئاً مما قُرّر [١] اولاً فيها . وامرنا بتعظيم امر الحجّ وتجهيز وفدها وتأسيس سبيلها وتسيير قوافلها . وأطلقنا سبيل التجار والمتردّدين الى البلاد وليسافروا بحسب اختيارهم على احسن قواعدهم . وحرمنا على العساكر والشحاني في الاطراف التعرّض لهم في مصادرهم وموارِدهم. وقد كان صادف قراغولنا جاسوساً في زيّ الفقراء كان سبيل مثلهِ ان يهلك فلم نرَ اهراق دمه صيانة لحرمة ما حرّمه الله تعالى وانفذناه اليهم . ولا يخفى عليهم ما كان في انفاذ الجواسيس من الضرر العام للمسلمين . فان عساكرنا طال ما رأوهم في زيّ الفقراء والنسّاك واهل الصلاح فساءت ظنونهم في تلك الطوائف فقتلوا منهم من قتلوا . وفعلوا بهم ما فعلوا. ورُفعت الحاجة بحمد الله تعالى الى ذلك بما صدر اذننا به من فتح الطريق وتردُّد التجّار وغيرهم . فاذا امعنوا الفكر في هذه الامور وامثالها فلا يخفى عنهم انها اخلاق جُبُلّيَّة طبيعية وعن شوائب التكلُّف والتصنّع عريَّة . واذا كانت الحال على ذلك فقد ارتفعت دواعي النفرة التي كانت موجبة للمخالفة . فانها ان كانت بطريق الدين . والذبّ عن حوذة المسلمين . فقد ظهر بفضل الله ويمن دولتنا النور المبين . وان كان لما سبق من الاسباب . فمن يجري الآن طريق الصواب . فان له عندنا الزُلفى وحسن مآب . وقد رفعنا الحجاب بفصل الخطاب وعرّفناكم ما عزمنا عليه من نيَّة خالصة لله تعالى وأتينا باستيفائها [٢] . وحرّمنا على جميع عساكرنا العمل بخلافها . ليرضى الله والرسول . وتاوح على صفائحها آثار الاقبال والقبول . وتستريح من اختلاف الكلمة هذه الامَّة . وتنجلي بنور الائتلاف واللمَّة ظلمة الاختلاف والغمَّة . فيسكن في سابغ ظلّها البوادي والحواضر . وتقوى القلوب التي بلغت من الجهد الى الحناجر . ويُعفى عن سائر الهفوات والجرائر . فان وفّق الله تعالى سلطان مصر لما فيه صلاح العالم . وانتظام امور بني آدم . فقد وجب عليه التمسّك بالعروة الوثقى. وسلوك الطريقة المثلى . بفتح ابواب الطاعة والاتحاد [٣] . وبذل الاخلاص بحيث تُعمر تلك الممالك والبلاد . وتسكن الفتن الثائرة . وتُغمد السيوف

---

١ – ويروى: قدّر.

٢ – ويروى: استئنافاً . ولعل الصواب باستئنافها .

٣ – وفي نسخة: والايجاد .

الباترة. وتحلّ الكافّة ارض الهوينا وروض الهدون . وتخلص ارقاب المسلمين من اغلال[١] الذلّ والهون . وان غلب سوء الظنّ بما تفضّل به واهب الرحمة . ومُنع عن معرفة قدر هذه النعمة . شكرَ الله مساعينا وأبلى عذرنا[٢] وما كنا معذّبين حتى نبعث رسولاً . والله الموفّق للرشاد والسداد . وهو المهيمن على جميع البلاد والعباد . وحسبنا الله وحده . وكُتب في اواسط جمادى الاولى سنة احدى[٣] وثمانين وستمائة بمقام الطاق .

ثم ان ملك مصر كتب الى السلطان احمد جواب هذه الرسالة: من سلطان مصر سيف الدين ابي مظفر قلاوون . اما بعد حمد الله الذي اوضح لنا نبأ[٤] الحق منهاجاً . وجاء بنا فجاء نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله افواجاً . والصلاة على سيّدنا ونبيّنا محمد الذي فضله على كل شيءٍ نُحي أسّه وكل نبيّ ناجي. وعلى آله وصحبه صلاة تُثير ما دحي وتنير من داجي[٥] . والرضى عن الامام الحاكم بأمر الله امير المؤمنين وسليل الخلفاء المهتدين[٦] . وابن عمّ سيّد المرسلين الخليفة الذي تتمسّك ببيعته اهل هذا الدين . انه ورد الكتاب الكريم . الملتقى بالتكريم . والمشتمل على النبإ العظيم . من دخوله في الدين . وخروجه عمّن خالف من العشيرة والاقربين . ولما فُتح هذا الكتاب فاتحَ بهذا الخبر المعلم . والحديث الذي صحّ[٧] عند اهل الاسلام اسلامه واصحُّ الحديث ما روي عن مسلم . وتوجهت الوجوه بالدعاء الى الله سبحانه وتعالى في ان يثبته على ذلك بالقول والعمل الثابت . وان ينبت حَبّ حُبّ هذا الدين في قلبه كما انبته في احسن المنابت . وحصل التأمل للفضل المبتدإ بذكره من حديث اخلاصه النيّة في اوّل العمر وعنفوان الصبا والاقرار بالوحدانية . ودخوله في الملّة المحمديّة بالقول والعمل والنية . والحمد لله على ان شرح صدره للاسلام . وألهمه شريف هذا الالهام . فحمدنا الله على ان يجعلنا[٨] من السابقين الاولين الى هذا والمقال المقام . ويثبت اقدامنا في كل موقف اجتهاد[٩] وجهاد تتزلزل دونه الاقدام. واما افضاءُ النوبة في الملك

---

١ – ويروى: انحلال .
٢ – ويروى: فيعفو الله عن مساعينا واتلى عذرنا .
٣ – ويروى: اثنتين .
٤ – ويروى: لنا وبنا .
٥ – وفي رواية: الذي فضّله الله على كل شيء نجا.وعلى اهله وصحبه صلاة تشير (والصواب: تنير) ما دجا .
٦ – ويروى: المهيدين تصحيف المهديين .
٧ – ويروى: بهذا الخبر المعلم العلم والحديث الذي صحح عند اهل الاسلام اسلامه وتوجهت الخ .
٨ – ويروى: جعلنا .
٩ – ويروى: فاجتهاد.

وميراثه بعد والده واخيه الكبير اليه . وافاضة هذه المواهب العظيمة عليه . وتوقّله الاسرّة التي طهّرها[١] ايمانه واظهرها سلطانـــه فقد اورثه الله مَن اصطفاه من عباده[٢] . وصدق المبشرات له من كرامة اولياثه وعبّاده . واما حكاية اجتماع الاخوان والاولاد والامراء الكبار في قوريلتاي الذي ينقدح فيه زند الآراء وان كلمتهم اتفقت على ما سبق به حكم اخيه الكبير في انفاذ العساكر الى هذا الجانب وانه فكّر فيما اجتمعت عليه آراؤهم وانتهت اليه اهواؤهم فوجده مخالفاً لما في ضميره اذ قصده الصلاح ودأبه[٣] الاصلاح. وانه اطفأ تلك النائرة . وسكّن تلك الثائرة . فهذا فعل الملك التقيّ المُشفق على قومه . ومَن يفي الفكر في العواقب . بالرأي الثاقب . وإلاّ فلو تركوا آراءهم حتى يحملهم الهوى لكانت تكون هذه الكرّة هي الكرّة[٤] . لكن هو كمنْ خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوى . ولم يوافق قول من ضلّ ولا فعلَ مَن غوى . واما القول انه لا يحبّ المسارعة للمقارعة الاّ بعد ايضاح المحجّة وتركيب الحجّة . فانتظامه[٥] في سلك[٦] الايمان صارت حجّتنا وحجّته المتركبة على من عدت طواغيه عن سلوك هذه المحجة مُسكتة . وان الله سبحانه والناس كافة قد علموا ان قيامنا انما هو لنصر هذه الملّة وجهادنا واجتهادنا انما هو لله . وحيث قد دخل معنا في الدين هذا الدخول . فقد ذهبت الاحقاد وزالت الذحول . وبارتفاع المنافرة . تحصل المناصرة . فالايمان كالبنيان يُشدّ[٧] بعضه من بعض . ومن اقام مناره فله اهل بأهل في كل مكان وجيران بجيران في كل ارض . واما تركيب هذه الفوائد الجمّة على اذكار شيخ الاسلام قدوة العارفين كمال الدين عبد الرحمن اعاد الله من بركاته فلم يَرَ وليّ من قبل كرامة كهذه الكرامـــة . والرجاء ببركة الصالحين ان تصبح كل دار للاسلام دار اقامة[٨] حتى تتمّ شرائط الايمان . ويعود شمل الاسلام كاحسن ما كان . ولا ينكر بمن بكرامته ابتدأ هذا التمكن في الوجود . ان كل حقّ ببركته الى مصابه[٩] يعود . واما انفاذ

---

١ – ويروى: ظهرها .
٢ – ويروى: اورثه الله من عباده ومصطفيه وصدق الخ .
٣ – ويروى: آدابه .
٤ – ويروى: «الفكرة» . ولا وجه لها .
٥ – كذا في نسختين ولعل الصواب: فبانتظامه .
٦ – ويروى: مسلك .
٧ – ويروى: يشيد .
٨ – ويروى: داراً قائمة .
٩ – ويروى: اذ كان كل حق ببركته الى قضائه يعود . ولعل الصواب « الى نصابه » اي اصله .

اقضى القضاة قطب الدين والاتابك شهاب الدين [١] الموثوق بنقلها في ابداع رسائل هذه البلاغة . فقد حضرا واعادا كل قول حسن من حوال احواله وخطرات خاطره ومناظرات منظره . ومن كل ما يُشكر ويُحمد . ويفيض حديثهما فيه عن مسند احمد . واما الاشارة الى ان النفوس كانت تتطلع الى اقامة دليل تُستحكم بسببه دواعي الامر ومصادره من العدل والاحسان . بالقلب واللسان . والتقدّم باصلاح الاوقاف فهذه صفات من يريـــد لملكه دواماً . فلما ملكَ عدلَ . ولم يلتفت الى لوم مَن عذل [٢] . على انها لو كانت من الافعال الحسنة . والمثوبات التي تستنطق بالدعاء الالسنة . فهي واجبات كليَّة تؤدَّى وهي اكبر من انه يأجُر اجر [٣] غيره يفتخر او عليه يقتصر او له يدَّخر . وانما يفتخر الملك العظيم بان يعطي ممالك واقاليم وحصوناً [٤] . وان يبذل في تشييد ماكه عن مصون . واما تحريمه على العساكر والقراغولات والشحاني بالاطراف التعرّض الى احد بالاذى . واصفاء موارد الواردين والصادرين من شوائب القذى . فمن حين بلغنا تقدّمه بذلك تقدَّمنا [٥] مثله ايضاً الى سائر النوَّاب بالرحبة والبيرة وحلب وعين تاب وتقدَّمنا الى مقدّمي العساكر باطراف تلك الممالك بمثل ذلك . واذا اتخذ الامان وانعقد الايمان بختم هذه الاحكام ترتَّبت عليـــه جميع الحكَّام [٦] . واما الجاسوس الفقير الذي أمسك ثم أُطلق وان بسبب من يتزيّا من الجواسيس بزيّ الفقراء قُتلت جماعة من الفقراء الصلحاء رجماً بالظن فهذا باب من تلك الابواب [٧] كان فتحه . وزند منه كان قدحه . وكم متزيٍّ بالفقر من ذلك الجانب سيَّروه . والى الاطّلاع على الامور سوَّروه . وظفر النوَّاب منهم بجماعة فرُفع عنهم السيف . ولم يكشف ما غطَّته خرقة الفقر [٨] بِاسَم ولا كيف . واما الاشارة الى ان في اتفاق [٩]

---

١ – وفي رواية : والاتابك وشهاب الدين . ولعلها الرواية الصحيحة لانه قد مر في الصفحة (٢٩٠) ان اسم الاتابك بهاء الدين .

٢ – ويروى : الى لوم من عدا ولا من عذل .

٣ – وفي نسخة : ياخر اخر . ويروى : وهو اكبر من انه ياجر اجراً غيره ويفتخروا عليه وانما يفتخر الخ . ولعل الصوب : ياجر اجراً غيره به يفتخر او عليه يقتصر الخ .

٤ – لفظة «حصون» توجد في نسخة باريز فقط .

٥ – ويروى : قدمنا .

٦ – ويروى : اذا اتحد الايمان وانعقد تختم هذه الاحكام ورتبت (ويروى : وترتيب) عليه جميع الاحكام . وروايتنا احسن .

٧ – وفي نسخة : من ذلك الجانب .

٨ – ويروى : حرفة الفقير . والرواية التي اثبتناها افصح .

٩ – ويروى : شفاق . ويروى : نفاق . وكلا الروايتين تصحيف .

الكلمة يكون صلاح العالم . وينتظم شمل بني آدم . فلا ريب لمن طرق باب الاتحاد ومن جنح السلم فما حاد[١] . ومن ثنى عنانه عن المكافحة . كمن مدّ يد المصالحة للمصافحة . والصلح وان كان سيّد الاحكام فلا بدّ من امور تُبنى عليها قواعده . ويُعلم من مدلولها فوائده . فان الامور المسطورة في كتابه كليّاتٌ لازمة يُفهم[٢] بها كل معنى ويُعلم ان يتهيأ صلح او لَمّ[٣] . وَثَمّ امور لا بدّ وان يحكم في سلكها عقوداً لعهود تنظم قد يحملها لسان المشافهة التي اذا افردت اقبلت ان شاء الله عليها النفوس . واحرزتها[٤] صدور الرسل كأحسن ما تُحرزه سطور الطروس . واما الاستشهاد بقوله تعالى : وما كنّا معذّبين حتى نبعث رسولاً . فما على السبق من الودّ بنسج ولا على السبيل بنهج[٥] . بل الفضل لمن تقدّم . في الدين حقوق تُرعى . وافادات تُستدعى . وعند الانتهاء الى جواب ما لعلّه يجب عنه[٦] الجواب من فصول الكتاب. وسمعنا المشافهة التي على لسان اقضى القضاة قطب الملّة والدين . وانتظام عقده بسلك المؤمنين . وما بسطه من عدلٍ واحسان. وسيرة مشكورة يكلُّ عن وصفها اللسان . فقد انزل الله على رسوله في حقّ مَن امتنّ باسلامه : قُل لا تمنُّوا عليَّ إسلامكم بل الله يمنّ عليكم إن هداكم للايمان . ومن المشافهة انه قد اعطاه الله من العطايا ما اغناه عن امتداد الطرف الى ما في يد غيره من ارض وماء . فان حصلَت الرغبة في الاتفاق على ذلك فالامر حاصل . فالجواب ان ثَمّ اموراً متى حصلت عليها الموافقة . تمّت المصادقة . ورأى الله تعالى والناس كيف يكون مصافينا . وادلال معارفينا عند تصافينا[٧] . وكم من صاحب وجـــد حيث لا يوجد[٨] الاب والاخ والقرابة . وما تمّ امر الدين المحمديّ واستحكم في صدور الاسلام الاّ بمظاهرة اصحابه[٩] . فان كانت

---

١ – وفي نسخة باريز : فالاراد لمن طرق باب الايجاب ومن جنح السلم فما حاد ولا جاد . ولا معنى الروايتين . ونظن انه يلزم تصحيح العبارة كما يأتي : فلا ريب ان من طرق باب الاتحاد . كمن جنح السلم فما حاد .

٢ – ويروى : ينعم . وهو تصحيف .

٣ – ويروى : الم .

٤ – وفي نسخة باريز : افرزتها . ويروى : احرزتها وتحرره . وكلا الروايتين تصحيف .

٥ – ويروى : « فما على السيف الود بنسخ » . فلا ريب ان كلمة «نسخ» مصحفة . ولعل الرواية الصحيحة هي : فما على السبق (او السيف) الود ينسج . ولا على السبيل ينهج .

٦ – ويروى : ما لعلة . ويروى : «عنها» بدل عنه .

٧ – وفي نسخة باريز : كيف تكون مضافينا واذلال معالينا واعزاز مصافينا . ولعل القراءة الصحيحة هي : كيف يكون تصافينا واذلال معادينا (او معالينا) واعزاز مصافينا .

٨ – لفظة «يوجد» ناقصة في نسخة باريز .

٩ – وفي النسخة نفسها يروى : بظاهره الصحابة . ونظن الصواب « بمظاهرة الصحابة » .

له رغبة مصروفة الى الاتحاد . وحسن الوداد . وجميل الاعتقاد . وكبْت الاعداء والاضداد . والاستناد الى مَن يشتدّ به الازر عن [١] الاستناد . فقد فهمَ المراد . ومن المشافهة اذ [٢] كانت عزيمتنا غير ممتدّة الى ما في يده من ارض وماء فلا حاجة الى انفاذ المفترين الذين يؤذون المسلمين بغير فائدة تعود . فالجواب لو كفَّ كفَّ العدوان من هنالك . وخلا للملوك المسلمين ما لهم من ممالك . سكنت الدهماء . وحُقنت الدماء . وما حقّه ان ينهى عن خُلق ويأتي بمثله . ولا يأمر بشيء وينسى فعله . وقونغرتاي [٣] بالروم الآن وهي بلاد في ايديكم . وخراجها يجبى [٤] اليكم . قد سفك فيها الدماء وقتل وسبى وهتك وباع الاحرار . وأبى الأ التمادي على ذلك الاضرار [٥] . ومن المشافهة انه حصل التصميم على ان يبطل [٦] هذه الاغارات . ولا يفتر عن هـذه الاثارات [٧] . فيعيّن مكاناً يكون فيه اللقاء . ويعطي الله النصر لمن يشاء . فالجواب عن ذلك الآن الاماكن التي اتفق فيها ملتقى الجمعَين مرّة ومرّة ومرّة قد عاف [٨] مواردها من سلم من اولئك القوم . وخاف ان لا يعاودها [٩] فيغادره مصرع ذلك اليوم . ووقت اللقاء علمه عند الله لا يقدّر . وما النصر الأ من عنـد الله لمن اقدر لا لمن قدّر [١٠] .وما نحن ممن ينتظر فلتة . ولا له الى غير ذلك لفتة [١١] . وما امر ساعة النصر الأ كالساعة التي لا تأتي الأ بغتة . والله الموفّق لما فيه صلاح هذه الامّة . والقادر على اتمام كل خير ونعمة . ان شاء الله تعالى . كُتب في مستهلّ شهر رمضان المعظم سنة احدى [١٢] وثمانين وستمائة .

---

١ – كذا في الاصل . ولعل الصواب : عند الاستناد . او : عند الاشتداد . وفي نسخة باريز : الى من يستند به الازر . والاصح يستد . وروايتنا احسن .

٢ – ويروى : اذا .

٣ – وتروى العبارة في نسخة باريز هكذا : وقد تغزينا بالروم الآن وقوتغرناي وهي بلاد الخ . ونسختنا احسن . ويروى : قوتغرناي وقرتغزناي وقوتغزناي . وكله تصحيف .

٤ – ويروى : يجبي .

٥ – ويروى في النسخة المشار اليها : الاصرار . وهو تصحيف .

٦ – ويروى : انه ان حصل التصميم على ان يبطل . ولعل الصواب : انه ان حصل التصميم على ان لا يبطل الخ . وهذه القراءة يطلبها سياق المعنى .

٧ – ويروى : الاشارات . وهو تصحيف .

٨ – وفي نسخة باريز : عاد . وهو تصحيف .

٩ – ونظن الصواب : وخاف ان يعاودها فيغادره .

١٠ – وفي نسخة باريز : علمه عند الله لمن اقدر لا لمن اقدر .

١١ – وفي النسخة نفسها يروى : «علته» بدل فلتة «ولغته» بدل لفتة . وهذه الرواية مصحفة .

١٢ – ويروى : اثنتين .

وفي هذا التاريخ نُقل الى السلطان احمد ان اخاه قونغرتاي له كلام مع ارغون ابن اباقا وانهم يريدون قتله فخاف وسارع الى قونغرتاي وقتله[١] . ولما بلغ الخبر الى ارغون بقتل عمّه حزن لذلك وصعب عليه واظهر تغيير قلبه على احمد[٢] . فلما شعر احمد بتغيير قلب ارغون عليه سيَّر عسكراً عظيماً وكبيرهم امير من المغول اسمه الينباخ فتوجهوا اليه وهو بخراسان[٣] . فلما وصل العسكر اليه انهزم ارغون من قدّامه . فأهمل الينباخ امره واشتغل بالاكل والشرب والسكر . وفي بعض الليالي هجم ارغون على عسكر الينباخ وبعض العسكر معه . ولما سمع السلطان احمد بذلك غضب وانزعج عظيماً ثم سيَّر الى جميع البلاد وجمع العساكر العظيمة وقصد ارغون . فلما رأى ارغون انه عاجز عن مقاومته صعد الى حصن هناك ومعه ثلثمائة نفر من الفرسان البهادورية اتباعه وتحصَّن هناك من غير ان يحبس نفسه في مكان لكنه منتقل من موضع الى موضع لأنه كان يفكر بقوله: كل محاصَر مأخوذ ولم تطعه نفسه بالرجوع الى طاعة السلطان احمد . فبينما هو في هذه الافكار وامير واحد[٤] من امراء ابيه اباقا كان محبوباً عند والده اسمه بوغا تقدَّم الى السلطان احمد قائلاً له: ان اعطيتني عهداً بأن لا تؤذي ارغون ولا يدَّنيه السوء فاني امضي اليه واحضره بين يديك . فسمع كلامه واستصوب مشورته ووقع الاتفاق على هذا . وحينئذ صعد بوغا في الحال الى ارغون وخاطبه وجاء به الى احمد وفرح السلطان احمد بذلك وعمل الدعوات والافراح ثلاثة ايام . وفي اليوم الثالث تغيَّر قلب السلطان احمد على ارغون وجالت الافكار في خاطره طالباً قتله . فدعى الامير الينباخ وجماعة اخرى معه ووكل على ارغون واوصاهم على الاحتياط به لئلاّ يهرب وانه[٥] متوجّه الى بلاد اذربيجان الى امّه قوتاي خاتون وامرهم ان يصحبوه اليه . ولما جاء الليل عزم على الرحيل وكشف سرّه الى بعض الاكابر حيث يقول: ان لم

---

١ – وفي نسخة باريز: يرومون قتله . فخاف واضطرب وسارع الى لزم اخاه قوتغزناي (قونغرتاي) وقتله.

٢ – ويروى: وتغير قلبه على السلطان احمد .

٣ – وفي نسخة اختلاف في ما يلي لفظة خراسان وهاك النص بحروفه: ولما علم ارغون بقدوم العسكر اليه كبسهم على غفلة وقتل منهم مقتلة عظيمة وانهزم اينخا (الينباخ) والبعض من عسكره . ولما علم السلطان احمد بذلك غضب غضباً عظيماً وجمع العساكر الكثيرة وقصد ارغون بنفسه . فتحصن ارغون في حصن كان هناك ومعه ثلاثمائة نفر من الفرسان . فارسل اليه السلطان احمد الامام (الامان) وحلف له ان لا يؤذيه . فأمن ارغون وسلم الى السلطان احمد وبقي ثلاث (ثلاثة) ايام في الافراح ثم تغير قلب السلطان الخ.

٤ – في الاصل: واميراً واحداً .

٥ – ويروى: واظهر انه متوجه .

اهلك ارغون وسائر الاولاد لم استرح ولا تنتظم السلطنة لي . وعند الصباح رحل واوصى ان يصحبوا اليه ارغون قليلاً قليلاً . فاما الامير بوغا فلما تحقّق هذا الامر وعرف ما في ضمير احمد ما تبعه وابطأ معتاقاً الى الليل . وفي الليل دار على جميع الاولاد وعرّفهم ضمير احمد وما قد عوّل عليه ان يفعله بهم . فاخذتهم الغيرة ونهضوا في تلك الليلة باجمعهم وقصدوا ارغون مكانَ كان موكل عليه واخرجوه والبسوه السلاح واركبوه الفرس وركبوا جميعهم في خدمته الى الموضع الذي كان فيه الينـاخ وهجموا عليه ودخلوا قتلوه وقتلوا معه جميع الاكابر اصحابه في الخيمة ونادوا في العسكر انّ ابناء الملوك قد قتلوا الينـاخ واصحابه فكل من هو في موضع يلزم مكانه ولا يتحرّك ولا يخف . وعند الصباح سيّروا في طلب عسكر ارغون احضروهم وركبوا في جمع عظيم وساقوا في اعقاب احمد وادركوه عند امّه فلزموه وكتفوه واستحفظوا به ونهبوا الاردو الذي له جميعها . ولما وصل ارغون وجماعة الاولاد اتفقوا على ان يملكوا عليهم ارغون ويكون الملك له موضع والده اباقا واحمد ينعزل لانه ما يصلح ان يدبّرهم . وانتهت سلطنة احمد الى هذه الحالة وذلك يوم الاربعاء حادي عشر من جمادى الاولى سنة ثلث وثمانين وستمائة .

(ارغون ايلخان) ولما جلس ارغون على كرسي المملكة اتّفق الاكثرون من امراء المغول واكابرهم ان يقتلوا احمد . فكان يقول ارغون : لا اوافق على قتله بل امّ قونغرتاي واولادها هم يعرفون به والذي يختارون ان يفعلوا به فليفعلوا . حينئذ بقي تحت التوكّل اياماً وبعد ذلك قتله اولاد قونغرتاي وانتقموا منه واخذوا دم والدهم . وكان ذلك يوم الاربعاء ثاني جمادى الآخرة . ثم ان ارغون لما استقام له الامر [1] رتّب كل واحد من الاولاد في رأس عسكر من عساكر مملكته . ثم قيل لارغون ان صاحب الديوان هو قتل اباقا والدك بسمٍّ سقاه . ولما كان يسيّر يطلبه من السلطان احمد فما كان يسمح له به ولا كان يسلّمه اليه . فتحقق ارغون ان احمد اختار موت والده . فلما استقرّ ارغون في الملك هرب شمس الدين صاحب الديوان الى الجبال التي في الاهواز [2] واحتمى بطائفة من الاكراد يسمّون باللور وكان كبيرهم شخص اسمه يوسف شاه . ولما وصل الى طاعة ارغون قبله قبولاً حسناً واكرمه لانه قبل عليه ان يلزم صاحب الديوان ويحمله الى عبوديته . وفعل ذلك ولزمه وحمله الى ارغون . ولما قدم قدّم اموالاً كثيرة نحو مائة

---

١ — ويروى : الملك .

٢ — وفي نسخة « التي في الاهواز اعني الجبال التي بين الاهواز وبين العجم » .

تومانٍ من ذهب. ثم انهم عرضوا عليه ان يشتري نفسه بحيث لا يُهرَق دمه فطلب المهلة ليبيع املاكه وما تخلَّف له ويقرض ويوصل ذلك . حينئذٍ حصَّل بطريق القرض من اصحابه واهله وانسبائه واحبائه واصدقائه قريباً من اربعين تومانًا آخر من الذهب وقال : هذا الذي قد حصل ولا يمكن ان يحصل غيره فانتم الذي تختارون فعله فافعلوه . فبرز الامر من الملك ارغون بقتله وقُتل يوم الثلثاء خامس شهر شعبان لهذه السنة وافق ذلك سابع[1] شهر تشرين الاول سنة ستّ وتسعين وخمسمائة والف للاسكندر . وكانت هذه آخرة مثل ذلك الرجل العظيم الهيوب الحكيم الذي كانت الدولة بأسرها معلقة بخنصره . وكان عنده العقل والخبرة وكان كاملاً بجميع السياسات والتدابير والتواضع الحسن . ويقولون عنه انه ما سبقه احد بالسلام بل هو كان يبتدئ مَن تقدَّم اليه .

١ – سابع س سابع عشر .